التناص بين القرآن الكريم و «الرسالة المنزلية» لابن سينا: دراسة حالة فى الأدب الإسلامى الأخلاقى الفلسفى

محمدمهدى منتصرى

دكتوراه فى الفلسفة الإسلامية، قسم الفلسفة و الكلام، كلية الهيات و المعارف الإسلامية، جامعة طهران، طهران، ايران. البريد الإلكترونى: m.montasseri@ut.ac.ir

الملخص

أُنجز هذا البحث بهدف بيان أبعاد العلاقة التناصية بين القرآن الكريم ورسالة *السياسة المنزلية* لابن سينا، وذلک رداً على الإشكالية الرئيسة المتمثلة فى إمكانية تتبّع آثار تأثر القرآن فى نسيج هذا النص الفلسفى–الأخلاقى. اعتمد المؤلف منهجاً توصيفياً–تحليلياً، وبناءً على أسس نظرية التناص، قام بدراسة هذه العلاقة على ثلاثة مستويات: اللفظى، والمفهومى، والهيكلى. وتشير النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة المقارنة للنصين، إلى أن القرآن الكريم بصفته النص المصدر، قد أحدث تأثيراً عميقاً ومتعدّد المستويات فى تشكيل الرسالة المذكورة؛ حيث انعكس تأثره –فضلاً عن توظيف عبارات ومصطلحات قرآنية على المستوى اللفظى– فى المستوى الجوهرى من خلال مفاهيم أساسية كالفاعلية الإلهية، والزوجية، والإنفاق. والأهم من ذلک، أن النظرة القرآنية للعالم القائمة على مبادئ كأولية مصلحة الجماعة، ودمج العقل والوحى، وغائية الخلقة، قد شكّلت البنية الفكرية العليا لابن سينا فى هذه الرسالة. لا تعكس هذه النتائج عمق تأثر أحد أبرز فلاسفة المسلمين بالقرآن فحسب، بل تُظهر أيضاً إمكانيات نظرية التناص فى كشف الحوار الخفى بين النصوص الفلسفية والنصوص الدينية. بعد المقدمة والتعريف بالرسالة، قدّم المقال تحليلَه فى ثلاثة أقسام تتوافق مع المستويات الثلاثة للتناص، وخلص إلى أن الحكمة السينوية فى *السياسة المنزلية* –مع استمدادها من العقلانية الإغريقية– قد ارتوت من معين الوحى، وتُعدّ نموذجاً متجانساً للتفاعل بين الفلسفة والدين فى الحضارة الإسلامية.

كلمات مفتاحية: التناص، القرآن، ابن سينا، السياسة المنزلية، الأخلاق الفلسفية

النسخة قابل للنشر أعد المنقحة

The Intertextuality between the Holy Qur'an and Al-Risala Al-Manziliya by Ibn Sina: A Case Study in Philosophical Islamic Ethical Literature

Abstract

This research examines the intertextual dynamics between the Holy Qur'an and Ibn Sina's *Risala al-Siyasa al-Manaziliya* (Treatise on Domestic Governance), addressing the central question of whether Quranic influences can be systematically traced within a philosophical-ethical text. Employing a descriptive-analytical methodology grounded in intertextuality theory, the study analyzes this relationship across three distinct levels: lexical, conceptual, and structural. A comparative analysis reveals the profound and multi-layered impact of the Qur'an as a source text. Lexically, the treatise incorporates specific Quranic phrases and terminology. Conceptually, it assimilates foundational ideas such as Divine Agency, spousal complementarity (*Zawjiya*), and charitable spending (*Infaq*). Most significantly, the Quranic worldview—with its emphasis on communal welfare, the integration of reason and revelation, and the teleological purpose of creation—provided the overarching intellectual framework for Ibn Sina's arguments. The findings demonstrate not only the depth of Quranic influence on a preeminent Muslim philosopher but also validate the efficacy of intertextuality theory in uncovering the nuanced dialogue between philosophical and religious texts. Structured into three analytical sections corresponding to the levels of intertextuality, the study concludes that Avicennan wisdom on domestic governance, while indebted to Greek rationalism, is deeply nourished by the wellspring of revelation. It thus stands as a coherent model of the synergistic interaction between philosophy and religion in Islamic civilization.

Keywords: Intertextuality, Qur'an, Ibn Sina, al-Siyasa al-Manziliya, Philosophical Ethics

النسخة ما قبل النشر / آخر النسخة

١- المقدمة

شَهِدَ دُخُولُ الفلسفة إلى العالم الإسلامى منذ البداية تحديات امتدت عبر تاريخ الفلسفة الإسلامية برمته. فقد أدى كون الفلسفة ظاهرةً دخلت أولاً عبر اللغتين السريانية واليونانية خلال عصر الترجمة فى ظل الخلافة العباسية (Nasr & Leaman, 1996: 1/802)، وكون هذا التراث الفكرى غير خالٍ من التأثر بالنزعة الهيلينية، إلى إثارة حساسية العديد من علماء المسلمين تجاهها، بل إن هذه الحساسيات وصلت فى بعض الحالات إلى حد اتهام بعض الفلاسفة بالكفر وإعدامهم (الشهرزورى، ٢٠٠٧: ٣٧٥-٣٩٠). ويُعد ابن سينا أحد أبرز فلاسفة المسلمين، الذين أسهمت أعمالهم فى تمكين الفلسفة الإسلامية بشكل كبير، مما أتاح مجالاً للمفسرين والنقاد للجدال وتبادل الآراء حولها لقرون بعده. فقد اتهم الإمام الغزالى ابن سينا بالكفر فى كتابه *تهافت الفلاسفة* (الغزالى، ١٩٩٠)، بينما سعى ابن رشد فى *تهافت التهافت* إلى تبرئته من هذه التهمة (ابن رشد، ١٩٩٣). كما انتقد فخر الدين الرازى آراء ابن سينا نقداً شديداً (الرازى، ١٣٨٤ش) – مما أكسبه لقب *إمام المشككين* فى المؤلفات الفلسفية اللاحقة – بينما سعى الخواجة نصير الدين الطوسى إلى الرد على هذه الإشكالات (الطوسى، ١٣٨٩ش). ولم يقتصر صدى آراء ابن سينا على هذا النطاق، بل يمكن تلمس أثرها البالغ الوضوح فى معظم الأعمال الفلسفية التى أتت بعده.

على عكس منتقديه، يرى فلاسفة العالم الإسلامى أن الحِكَم والأدلة الفلسفية لا تتعارض مع التعاليم الدينية، وأنهما تعبيران مختلفان عن حقيقة واحدة (حسن زاده الآملى، ١٣٧٠ش). ويأتى هذا فى سياق أن أوائل الفلاسفة المسلمين مثل الكندى (الكندى، ١٩٧٨) والفارابى (الفارابى، ١٤٠٥ هـ) ومَنْ برز بعدهم فى التقليد الفكرى للفلسفة الإسلامية، قد سعوا دائماً إلى التوفيق والمصالحة بين البراهين اليونانية من جهة، والثقافة والفكر الإسلامى الأصيل من جهة أخرى. وهذا المسعى واضحٌ فى أعمال ابن سينا؛ حيث يمكن دراسة تأثر كتاباته بالقرآن الكريم. لذا، يسعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة التناصية بين أحد أعمال ابن سينا الأخلاقية والقرآن الكريم. وتكمن الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة فى التساؤل عمّا إذا كان يمكن رصد علاقة تناصية بين القرآن الكريم و *رسالة السياسة المنزلية* لابن سينا. أما الإشكالية الفرعية فتدور حول المستويات التى يمكن عندها ملاحظة هذه العلاقة. ومن شأن هذا البحث أن يسهم فى فهم أعمق لتأثير التعاليم القرآنية فى نسيج فكر ابن سينا.

حتى الآن لم يُكتَب بحثٌ مستقلّ فى هذا الحقل العلمى. فقد حاولت بعض الدراسات تحليل منزلة القرآن مقارنة بالعقل فى مؤلّفات ابن سينا (سراج ورهبر، ١٣٩٢ش)، أو ركّزت على انعكاسات الآيات القرآنية فى آرائه (قزلباش، ١٤٠٠ش). ومن الواضح أن هذه الدراسات تختلف من حيث المنهج والميدان عن البحث الحالى. كما تناولت أبحاث أخرى المنهج الفلسفى لابن سينا فى تفسير الحروف المقطعة فى القرآن (الحسينى ومسلمبور، ١٣٩٣ش)، أو أفكاره

النسخة ما قبل النشر أعد للمقتحة

حول الشعر والأدب التعليمی (طاهری، ۱۳۸۴ش)، وهی بدورها لا تتقاطع بشكل كبير مع هذا البحث. أما سيد حسين نصر فقد أشار بشكل عابر إلى استشهاد ابن سينا بالآيات القرآنية (Nasr, 1993: 207)، فی حين ركّزت دراسات أخرى على تلقّی ابن سينا للتعاليم القرآنية والأدبية (Lim & Khan, 2016: 31). ويبيّن فحص الخلفية البحثية عدم وجود دراسة تتطابق مع هذا البحث من حيث الموضوع والمنهج.

يتبع هذا البحث المنهج الوصفی التحليلی، معتمدا على أسس نظرية التناص. فی المرحلة الأولى، ومن خلال دراسة مقارنة لنص رسالة *السياسة المنزلية* والقرآن الكريم، تم التعرف على مواضع التشابه والتقارب (سواء كانت لفظية أو مفهومية أو هيكلية). ثم فی المرحلة اللاحقة، جرى تحليل هذه البيانات ودراستها على ثلاثة مستويات: التناص اللفظی، والتناص المفهومی، والتناص الهيكلی؛ وذلک من أجل بيان أبعاد الحوار الخفی بين هذا النص الفلسفی الأخلاقی ونص القرآن الكريم بصفته النص المصدر.

يهدف هذا البحث إلى إظهار تأثر كلام وفكر ابن سينا –بوصفه أحد أهم الفلاسفة المسلمين– بالقرآن الكريم. وفی هذا الإطار، سيقدّم أولاً نظرة عامة على رسالة *السياسة المنزلية*، ثم يتم تحليل تناصها مع القرآن فی ثلاثة أقسام: التناص اللفظی، والتناص المفهومی، والتناص الهيكلی.

۲– نظرة عامة على رسالة *السياسة المنزلية*

تُعَدُّ رسالة *السياسة المنزلية* لأبی على ابن سينا أول مؤلَّف فلسفی مستقل فی مجال «تدبير المنزل» فی العالم الإسلامی. كُتِبَت هذه الرسالة باللغة العربية، وموضوعها الرئيس هو كيفية إدارة الأسرة وأسلوب التعامل بين أفرادها، بما فی ذلک العلاقة بين الزوج والزوجة، والإيرادات والمصروفات، والأطفال، والخَدَم. يسعى ابن سينا فی هذا العمل إلى تقديم حلول عملية لتنظيم الشؤون الداخلية للأسر وتحقيق السعادة الفردية والاجتماعية. وقد جُمعت هذه الرسالة فی خمسة فصول رئيسة، يختص كل منها بجانب معين من إدارة المنزل.

يبدأ ابن سينا بحثه بـ«سياسة النفس»، مؤكداً على أهمية معرفة عيوب النفس وطرق علاجها. فهو يرى اكتساب الفضائل الأخلاقية شرطاً ضرورياً للإدارة الصحيحة للحياة، موجهاً خطابه إلى الحكام وأمراء المجتمع. وفی هذا القسم، يُعدّ تربية النفس وإصلاح الذات مقدمة ضرورية لتدبير شؤون الأسرة والمجتمع. فحسب رأيه، لا يستطيع أحد إدارة المجتمع إلا إذا كان قادراً أولاً على تدبير نفسه.

أما فی فصل یلیه بعنوان «سیاسة المرء دخله و خرجه»، فیتناول الشؤون الاقتصادیة للأسر، ویناقش مواضیع مثل طرق کسب الدخل، وأنواع الصناعات والمهن المناسبة، وکذلک موضوع الزکاة والصدقات والنفقات. معتمداً علی التعالیم الإسلامیة، یشدّد ابن سینا علی ضرورة الاعتدال فی الإنفاق وتجنب الإسراف.

فصل «فی سیاسة الرجل أهل» یختص بالعلاقات بین الزوجین وکیفیة معاشرة الرجل مع زوجه. ینطلق ابن سینا من رؤیة سیکولوجیة فیؤکد علی ضرورة تفاعل الرجل مع المرأة مقترناً بالهیبة والکرامة، مع التشدید علی متانة الرابطة الزوجیة. ویعدّ العقل، والحیاء، والرأفة، والطاعة، والعفّة من صفات الزوجة الصالحة، کما یبرز ضرورة احترام الرجل للمرأة وتکریمها. أما فی فصل « فی سیاسة الرجل اهله»، فیتناول ابن سینا مراحل تربیة الطفل من الرضاعة حتی البلوغ. ویؤکد علی اختیار المرضعات الصالحات وبدء التربیة منذ السنوات الأولی، معتقداً أن التعلیم یجب أن یجمع بین اللین والحزم. ویتضمن التعلیم الأولی المسائل الدینیة والأخلاقیة، کما ینبغی علی الوالدین توفیر فرص اختلاط الولد مع ذوی الثقافة الرفیعة. ویختتم الرسالة بفصل «فی سیاسة الرجل خدمه»، المخصص لکیفیة اختیار الخدم وأسلوب التعامل معهم. الهدف الأساسی لابن سینا من هذه الرسالة هو تقدیم رؤیة لتحقیق السعادة فی مختلف شؤون الحیاة. فهو یری أن تحقیق السعادة یتم عبر المجتمع، وإصلاح المجتمع رهین بإصلاح الأفراد. ومن ثمّ فإن تدبیر المنزل لیس مجرد إدارة مادیة للبیت، بل هو إطار لاکتساب الفضائل الأخلاقیة والوصول إلی السعادتین الدنیویة والأخرویة.

أما بالنسبة لمصادر الرسالة، فتوجد آراء متباینة. فبینما یری بعض الباحثین تأثرها بأعمال ابن المقفع ونصوص مثل کلیلة ودمنة (الفاخوری والجر، ۱۹۹۳: ۲/ ۲۳۰)، یری آخرون – استناداً إلی أوجه الشبه مع أعمال أفلاطون وأرسطو وآراء الفارابی – أنها مستمدة من التراثین الفلسفیین الیونانی والإسلامی (الأهوانی، ۱۳۳۵هـش؛ اذکائی، ۱۳۶۴هـش). کما لُوحظ تأثیر التعالیم الإسلامیة وربما الأعمال الطبیة فی عصر ابن سینا (نورانی نجاد، ۱۳۸۳هـش). نُشرت الرسالة أول مرة عام ۱۹۰۶ علی ید لویس معطوف، ثم طُبعت فی عدة مجامیع (انظر: ابن سینا، ۱۹۸۸)، کما تم ترجمة و شرح هذه الرسالة إلی اللغة الفارسیة مع شرح قسم من کتاب الشفاء لابن سینا فی عام ۱۹۴۰ (ابن سینا، ۱۳۱۹ش). وإجمالاً، تُعد رسالة *السیاسة المنزلیة* عملاً رائداً فی مجال الأخلاق العملیة وإدارة الأسرة المسلمة، تقدم من خلال الدمج بین التعالیم الدینیة والفلسفیة والخبرات العملیة، نموذجاً لتنظیم الحیاة الفردیة والاجتماعیة.

۳- التناص بين القرآن و *السياسة المنزلية*

يستند التناص كنظرية ومنهج فى النقد الأدبى الحديث إلى مبدأ أن النص لا يولد بمعزل عن النصوص الأخرى، بل يشكل شبكة من الإحالات إلى نصوص سابقة، حيث تتشكل معناه من خلال حواره معها. بناءً على ذلک، تتفاعل النصوص بشكل ديناميكى، ويتطلب فهم أى نص الإلماح بالنصوص الأخرى التى يتردد صداها فيه. صاغت المصطلح «التناص» لأول مرة الناقدة الفرنسية جوليا كريستيفا (Kristeva, 1980: 66; Allen, 2000). من وجهة نظرها، كل نص هو فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو امتصاص وتحويل لنصوص أخرى (Genette, 1997؛ نامور مطلق، ۱۳۹۰ش: ۲۷). لا يُفهم النص بشكل كامل إلا عندما تُفهم علاقته بالنصوص الأخرى بشكل صحيح (قائمى نيا، ۱۴۰۲: ۴۱۳). بتعبير محمد عزام، التناص هو عملية يتم من خلالها إنشاء نص جديد من خلال دمج وتركيز عدة نصوص سابقة. فى هذه العملية، تُمحى الهوية المستقلة للنصوص المصدر ويعاد إنشاؤها فى هيكل جديد. والنتيجة هى نص يحتوى على جوهر النصوص السابقة بينما يظل أصلها مخفيًا، وهو أمر لا يمكن تتبعه إلا من قبل الخبراء فى هذا المجال (عزام، ۲۰۰۱: ۲۹).

يمكن تحديد التناص وتحليله على ثلاثة مستويات (Mayer, 1990):

۱. **التناص اللفظى**: يبحث هذا المستوى فى حالات أخذ الألفاظ أو العبارات أو التراكيب النحوية مباشرة من نص آخر، مثل استخدام عبارة «والله ولى التوفيق» التى ترتبط بوضوح بالآيات القرآنية.
۲. **التناص المفهومى**: يحلل هذا المستوى اقتراض المضامين والأفكار والمفاهيم القرآنية الأساسية (مثل «العدل» و«المعروف» و«التقوى» و «الصلاح»)، حتى فى الحالات التى أعاد فيها ابن سينا تفسير تلک المفاهيم فى قالب فلسفى وبألفاظ مختلفة، دون ظهور الإقتراض من القرآن بشكل صريح.
۳. **التناص الهيكلى**: هذا المستوى، وهو أعمق مستويات التحليل، يبحث فى أوجه التشابه فى الأنماط العامة ورؤية العالم التى تحكم كلا النصين. وتندرج فى هذه الفئة قضايا مثل الغائية من الحياة، وتقديم مصلحة الجماعة، والجمع بين العقل والوحى كأساسات فكرية مشتركة بين النصين.

مما لا شک فيه أن هذه الرسالة لها علاقات بعدد من النصوص، ولكن كما ذكر سابقاً، فإن هدف هذا البحث يقتصر على دراسة تناصها مع القرآن الكريم. فى ما يلى، يتم دراسة العلاقة التناصية بين القرآن و *السياسة المنزلية* على كل من هذه المستويات. ومن الجدير بالذكر أن المؤلف قد وجد أكثر من ۴۰ حالة من التناص بين القرآن وهذه الرسالة، وللإيجاز، تم ذكر وتحليل الحالات المختارة فقط.

النسخة قابل للنشر أعم المنقحة

٣- ١- التناص اللفظي بين القرآن و *السياسة المنزلية*

على عكس العديد من علماء المسلمين، لم يذكر ابن سينا فى هذه الرسالة أى آية قرآنية كاملة. ومع ذلک، فإن هذا لا يعنى انعدام وجود تناص لفظى بين هذه الرسالة والقرآن. فقد استخدم بشكل صريح بعض المصطلحات القرآنية، أو وضع كلمات مشتقة منها فى نصه بأسلوب بليغ. إن التشابه فى الدلالة والتركيب اللفظى بين كلمات ابن سينا والقرآن يؤكد أنه كان يحفظ جيداً الآيات القرآنية الموازية فى ذهنه. هذه الحالات متعددة، وسيتم عرضها فى الجدول التالى. وللمزيد من الوضوح، تم وضع خط تحت الكلمات المقصودة فى فقرات النص والآيات القرآنية.

رقم	نص الرسالة	الآية الموازية
١	الحمد لله الذى نهج لعباده (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٢)	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الفاتحة: ٢)
٢	و أشرع لهم بما هيأهم له من شكره و أبواب مزيده (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٢)	لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ (إبراهيم: ٧)
٣	و منّ عليهم بالعقل (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٢)	بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ (الحجرات: ١٧) وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (إبراهيم: ١١)
٤	فلم يفت جميل صنعه صغيراً و لا كبيراً (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٢)	مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا (الكهف: ٤٩)
٥	من سوابغ نعمه (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٢)	وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ (لقمان: ٢٠)
٦	ثمّ خصّ بنى آدم بخصائص من نعمه فضّلهم بها على كثير من خلقه (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٣)	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ [...] وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (الإسراء: ٧٠)
٧	فجعلهم أحسن الخلق (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٣)	فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (المؤمنون: ١٤) وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (الصافات: ١٢٥)
٨	و خلاف ما بين الغى و الرشد (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٣)	قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (البقرة: ٢٥٦)
٩	ثمّ منّ عليهم بفضل رأفته (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٣)	وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (البقرة: ٢٠٧) إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (التوبة: ١١٧)

النسخة ما قبل النشر إعداد المنتخا

۱۰	و لم تسكن نفسه إلا إلى الزوج التى جعلها الله (تعالى ذكره) للرجل سكنا (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۳۷)	خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا (الروم: ۲۱)
۱۱	و نفساً أمّارة بالسوء (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۰)	إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (يوسف: ۵۳)
۱۲	ما اتيح لهم من قرناء السوء و قُيّض لهم من جلساء الشر (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۲)	نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (الزخرف: ۳۶)
۱۳	و لم يستدرجوهم باستصابة خطأهم (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۲)	سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (الأعراف: ۱۸۲ و القلم: ۴۴)
۱۴	و ثنى عطفه فى أول ما يرد عليه منک (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۴)	ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (الحج: ۹)
۱۵	فإذا تثبّت و فكّر و قدّر (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۴)	إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (المدّثّر: ۱۸ و ۱۹)
۱۶	و أخفض الصوت (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۴)	وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ (لقمان: ۱۹) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ (الإسراء: ۲۴)
۱۷	و بعضه مستبقى مدّخراً (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۷)	وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ (آل عمران: ۴۹)
۱۸	و انشراح الصدر (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۸)	قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (طه: ۲۵)
۱۹	لوجه الله ذو الجلال و الإكرام، فلا يستثمر له شكراً و لا يترصد له جزاء (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۸)	إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (الدهر: ۹)
۲۰	بين السَرَف و الشُحّ (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۸)	وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ (النساء: ۱۲۸)
۲۱	خير النساء [...] الودود (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۵۰)	وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (الروم: ۲۱)
۲۲	و ينكّب عنه معايب العادات بالترهيب و الترغيب (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۵۲)	وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا (الأنبياء: ۹۰)
۲۳	فإذا اشتدّت مفاصل الصبى و استوى لسانه (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۵۳)	حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ (الأنعام: ۱۵۲ و الإسراء: ۳۴) حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ (الأحقاف: ۱۵) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ (القصص: ۱۴) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى (يوسف: ۲۲)

النسخة ما قبل النشر المتقدمة

		فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا (الكهف: ٨٢)
٢٤	و وعى سمعه (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٥٣)	وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (الحاقة: ١٢)
٢٥	و علل خفية [...] لا يعلمها إلّا الله (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٥٥)	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ (الأنعام: ٥٩)
٢٦	فإنهم بشر يَمَسُّهم من الكلال و اللغوب و من السآمة و الفتور (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٥٧)	وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (ق: ٣٨) وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (فاطر: ٣٥) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (الزخرف: ٧٥) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (الأنبياء: ٢٠)
٢٧	و الله ولىّ التوفيق و التيسير (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٦٠)	وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ (هود: ٨٨) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (طه: ٢٦) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (الأعلى: ٨) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (الليل: ٧)

جدول ١. مصاديق التناص اللفظي

للإيجاز، سيتم الاقتصار على شرح عدد محدود من الأمثلة الواردة في الجدول أعلاه. أولاً: يشير ابن سينا في معرض حديثه عن حاجة الجميع إلى شخص يظهر عيوب النفس بصدق، إلى أن الأمراء والحكام هم الأكثر عرضة لخطر مرافقة رفقاء السوء الذين يخفون عيوبهم عنهم. فيقول: «وَمِمَّا زَادَ فِي فَسَادِ حَالِ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ مَا أُتِيحَ لَهُمْ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ وَقُيِّضَ لَهُمْ مِنْ جُلَسَاءِ الشَّرِّ» (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٤٢). هذا التعبير يتناسب مع الآية القرآنية: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» (الزخرف: ٣٦). فقد استخدم ابن سينا كلمتي «قُرَنَاء» (جمع قَرين) و«قُيِّض» (الفعل المبني للمجهول من نُقَيِّض في الآية). هذا التوافق في الاستخدام يدل على وجود علاقة تناص بين الآية ونص ابن سينا.

ثانياً: عند حديث ابن سينا عن آداب الإيرادات والمصروفات المنزلية، يشترط في الزكاة والصدقات شروطاً، منها: «وَأَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَلَا يَسْتَثْمِرُ بِهِ شُكْرًا وَلَا يَتَرَصَّدُ لَهُ جَزَاءً» (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٤٨). هذا العبارة تتوازى مع الآية الكريمة: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» (الإنسان: ٩). فقد

النسخة ما قبل النشر أعلم المتحدة

تكرر استخدام عبارتی «لِوَجْهِ اللَّه» و «جَزَاءً» حرفیاً، بینما تحولت «شُكُوراً» فی الآیة إلی «شُكْراً» فی النص مع اختلاف طفیف. وهذا یدل علی تأثیر لفظ هذه الآیة بوضوح علی نص المؤلف.

ثالثاً: فی موضوع تربیة الأولاد، یذکر ابن سینا أن کل طفل له استعداد خاص للمهن والمهارات، فیقول: «وَلِهَذِهِ الاخْتِيَارَاتِ وَهَذِهِ الْمُنَاسَبَاتِ وَالْمُشَاكَلَاتِ أَسْبَابٌ غَامِضَةٌ وَعِلَلٌ خَفِيَّةٌ، تَدِقُّ عَنْ أَفْهَامِ الْبَشَرِ، وَتَلْطُفُ عَنِ الْقِيَاسِ وَالنَّظَرِ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ» (ابن سینا، ۱۹۸۸: ۲۵۵). هذا العبارة تمثل نموذجاً صارخاً للتناص المفهومی مع الآیة: «وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» (الأنعام: ۵۹). لقد اقتبس ابن سینا الهیکل النحوی واللبن الأساسی للتعبیر القرآنی بالکامل. فکلتا العبارتین تبدأ بحرف النفی «لَا» وتنتهی بأداة الحصر «إِلَّا». کل ما فعله هو استبدال الکلمة المفتاحیة «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ» بتعبیرها الفلسفی المکافئ «عِلَل خَفِيَّة»، مستخدماً نفس البنیة اللغویة القرآنیة للتعبیر عن حقیقة مشترکة. هذا التشابه البنیوی اللافت یظهر بوضوح تأثره المفهومی المباشر بالآیة الکریمة.

یلی ذلک تحلیل التناص اللفظی بین القرآن ورسالة *السیاسة المنزلیة*.

۳- ۲- التناص المفهومی بین القرآن و*السیاسة المنزلیة*

ثمة حالات فی النص استخدم فیها ابن سینا مفاهیم مستقاة من القرآن الکریم، تمثل مستوی أعمق من التناص اللفظی یستحق التأمل. ویمکن عرض هذه الحالات ضمن مجموعات مفهومیة

۳- ۲- ۱- الفاعلیة الإلهیة

من المفاهیم التی أکد علیها ابن سینا مراراً فی رسالته فاعلیة الله تعالی تجاه المخلوقات. وفی معرض کلامه یقول: «الْحَمْدُ لِلَّه حَمْداً كَثِيراً عَلَى مَا عَمَّ مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرِهِ وَشَمِلَ مِنْ لُطْفِ تَقْدِيرِهِ، حَتَّى حَازَ كُلُّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِهِ حَظَّهُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ» (ابن سینا، ۱۹۸۸: ۲۳۲). تشیر هذه العبارة إلی عمومیة وشمول التدبیر والتقدیر الإلهیین، وهما مفهومان قرآنیان بارزان. فعمومیة التدبیر الإلهی تتجلی فی آیات عدة، منها: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» (السجدة: ۵)، التی تشیر إلی شمول تدبیره تعالی من السماء إلی الأرض، بما یعنیه ذلک من إحاطة بجمیع أرجاء الکون. أما شمول التقدیر فموضعه آیات مثل: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» (القمر: ۴۹)، التی تؤکد أن کل مخلوق قد خُلق علی قدر ومقدار محددین. وقد انتقل مفهوم القضاء والقدر من القرآن إلی مؤلفات ابن سینا الفلسفیة الرئیسة (ابن سینا، ۱۳۵۳ش؛ ابن سینا، ۱۴۰۰ق: ۲۵۶؛ ابن سینا، ۱۳۷۹ش: ۷۰۶؛ ابن سینا، ۱۴۱۸ق: ۵۲۰)، لیصبح موضوعاً محوریاً فی تاریخ الفلسفة الإسلامیة (انظر علی سبیل المثال: السید الداماد، ۱۳۷۴ش: ۴۱۶-۴۲۰).

ومن مظاهر الفاعلية الإلهية الأخرى الإشارة إلى عجز المخلوقات واستمداد قوّتها من الله تعالى، كما فى عبارة ابن سينا: «وَتَمَّ بِكَمَالِهِ نَقْصُهُمْ وَقَوِىَ مِنْ أَجْلِهِ عَجْزُهُمْ» (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٢). وهذا يتوافق مع التعليم الإسلامى المتجسد فى الحديث: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». وتجسده آيات مثل: «مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (الكهف: ٣٩)، و «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ» (الفاطر: ١٥)، التى تؤكد فقر جميع الموجودات إلى الله وعموم إرادته وقدرته تجاه كل شىء، وهى مفاهيم إسلامية تجلت بوضوح فى عبارة ابن سينا.

ويبلغ هذا العمق حداً يجعل القرآن يربط حتى هداية البشر بمشيئة الله وقدرته، وهو ما ينعكس أيضاً فى كلمات ابن سينا، الذى يقول فى مستهل رسالته: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَهَجَ لِعِبَادِهِ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَمْدِهِ سَبِيلَ شُكْرِهِ» (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٣٢). ويتناغم هذا المفهوم مع آيات مثل: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ» (الأعراف: ٤٣)، و «إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ» (القصص: ٥٦). فشكر النعمة، وهو نوع من الهداية، يرتبط فى فكر ابن سينا بمشيئة الله وقدرته، فهو الذى يهيئ سبيل هذه الهداية.

بل يتجاوز ابن سينا ذلك إلى اعتبار ألطف صور الفاعلية الإلهية تجاه إرادة الإنسان وأفعاله. فعندما يتساءل عن سبب اختيار الناس لمهن مختلفة، يجيب: «إِنَّ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَى الْأَقْوَاتِ دَعَتْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى السَّعْىِ فِى اقْتِنَاءِ قُوتِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِى أَلْهَمَهُ اللَّهُ قَصْدَهُ» (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٤٦). مما يشير إلى أن اختيار المهنة يرتبط بشكل ما بالإلهام الإلهى. وهذا يذكرنا بعمل النحل الذى ينسبه القرآن إلى الوحى الإلهى: «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ» (النحل: ٦٨). فالله تعالى علّم النحل كيفية إنتاج العسل عبر نوع من الإلهام (القمى، ١٣٦٣ش: ٣٨٧/١)، وهذا لا يقتصر على النحل، بل إن الله يلهم جميع الحيوانات منافعها ومضارها (الطبرانى: ٢٠٠٨: ٧٢/٤). كما أن علم بناء السفينة ينسب إلى الوحى الإلهى لنوح عليه السلام، كما فى قوله تعالى: «فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا» (المؤمنون: ٢٧)، و «وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا» (هود: ٣٧). وقد فسر المفسرون ذلك بأن كيفية بناء السفينة أوحى بها الله تعالى إلى نوح (الطبرسى، ١٣٧٢ش: ١٦٦/٧). فإذا كان ابن سينا ينسب اختيار المهنة إلى الإلهام الإلهى، فإنه بلا شك كان يستحضر هذه المفاهيم القرآنية فى ذهنه، معتقداً أن الميول الأولية للإنسان لاختيار مهنة ما تخضع لعوامل مختلفة بينها الإلهام. وهذا يمثل شكلاً عميقاً من أشكال التناص.

٣- ٢- ٢- الزوجية

فى الفصل الذى خصصه ابن سينا لتدبير علاقات الرجل والمرأة، نلاحظ فى مواضع متعددة وجود ترابط مفهومى بين آيات القرآن ونصه. بداية، يذكر فى صفات الزوجة الصالحة: «وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْعَاقِلَةُ الدَّيِّنَةُ الْحَيِيَّةُ» (ابن سينا، ١٩٨٨:

۲۵۰). وبذلک یعد ابن سینا «التدین» من الصفات المهمة للزوجة الصالحة، ویذکره فی مقدمة القائمة بعد العقل مباشرة. وهذا المعنی نجده موصوفاً فی القرآن ضمن صفات النساء الصالحات، کما فی الآیة: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا» (التحریم: ۵). حیث جاءت صفتا الإسلام والإیمان فی صدارة قائمة صفات النساء الصالحات، تلیها صفات أخری تشیر جمیعها إلی ممارسة الأعمال الدینیة.

أما الصفة الأخری التی یذکرها ابن سینا فهی «الحَیِّیَّة» فی المرأة، وهی ترتبط مفهومیاً مع آیات القرآن التی تشیر إلی عفة المرأة، کما فی سورة النور: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» (النور: ۳۱). فهذه الآیة تشیر إلی مظاهر متعددة لحالة نفسیة فی المرأة نعبر عنها بالحیاء. ومن الصفات الأخری للزوجة الصالحة عند ابن سینا «الوقور فی هیبتها» (ابن سینا، ۱۹۸۸: ۲۵۰)، التی تشیر إلی الوقار والطمأنینة. والقرآن أیضاً طلب من المؤمنات: «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ» (النور: ۳۱)، وهو أمر یتقارب معنویاً مع وقار المرأة.

کما نجد فی نص ابن سینا صفتی طاعة الزوجة لزوجها وحفظها لأسراره: «خَيْرُ النِّسَاءِ [...] الْمُطَاوِعَةُ الْعِنَانُ، [...] الْأَمِينَةُ لِلْغَيْبِ» (ابن سینا، ۱۹۸۸: ۲۵۰). وهاتان الصفتان مذکورتان فی القرآن ضمن محاسن النساء، کما فی قوله تعالی: «فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ» (النساء: ۳۴). فالعبارة المجازیة «الْمُطَاوِعَةُ الْعِنَانُ» تعنی الطاعة، و «قَانِتَاتٌ» عند المفسرین تعنی طاعة المرأة لزوجها (ابن سلیمان، ۱۴۲۳ق: ۲۰۱/۱). أما مسألة کتمان السر فقد عبر عنها ابن سینا بعبارة «الْأَمِينَةُ لِلْغَيْبِ» التی تتناسب مفهوماً مع عبارة «حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ» فی الآیة الکریمة.

ومن النقاط الأخری التی أشار إلیها ابن سینا قیام الحیاة بتدبیر الرجل ودوره کمعمر للأسرة. وهذا المفهوم أکثر تعقیداً، ویقع ضمن إطار التناص المفهومی والهیکلی معاً. وأبرز موضع یتناوله ابن سینا فی هذا الصدد هو قوله: «أَمَّا الْهَيْبَةُ فَهِيَ: إِذَا لَمْ تَهَبْ هَانَ عَلَيْهَا. وَإِذَا هَانَ عَلَيْهَا لَمْ تَسْمَعْ لِأَمْرِهِ وَلَمْ تُصْغِ لِنَهْيِهِ. ثُمَّ لَمْ تَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى تَقْهَرَهُ عَلَى طَاعَتِهَا، فَتَعُودَ آمِرَةً وَيَعُودَ مَأْمُورًا، وَتَصِيرَ نَاهِيَةً وَيَصِيرَ مَنْهِيًّا، وَتَرْجِعَ مُدَبِّرَةً وَيَرْجِعَ مُدَبَّرًا. وَذَلِكَ الِانْتِكَاسُ وَالِانْقِلَابُ. وَالْوَيْلُ لِلرَّجُلِ حِينَئِذٍ.» (ابن سینا، ۱۹۸۸: ۲۵۰). وهذا یدل علی أن ابن سینا یری أن مکانة الرجل هی فی موقع التدبیر والتوجیه فی الأسرة، وإذا اختل هذا النظام یحصل انقلاب فی هیکل الأسرة. وهذا یتناسب مفهوماً مع الآیة الکریمة: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» (النساء: ۳۴). وقد فسر المفسرون «قَوَّامُونَ» بأنه ولایة الرجل علی المرأة وتدبیره لشؤون الأسرة (الطریحی، ۱۳۷۵ش: ۱۴۲/۶)، مع التأکید علی أن ذلک لا یعنی استبداد الرجل فی محیط الأسرة (مغنیة، ۱۴۲۴ق: ۳۱۴/۲).

۳- ۲- ۳- الإنفاق

يُعدُّ تدبير النفقات والمصاريف العائلية محوراً أساسياً فی رسالة *السياسة المنزلية*. فبالإضافة إلى الإشارة إلى وجوب أداء الزكاة والصدقة من الدخل – وهو بحده ذاته ذو أصل قرآنی واضح (انظر على سبيل المثال: التوبة: ۱۰۴) – يشير ابن سينا إلى فئة الذين يسترون فقرهم، مؤكداً أن معظم الصدقات يجب أن تخصص لهذه الفئة. وعبارته فی هذا الصدد: «وَأَنْ يُوضَعَ مُعْظَمُهَا فِی أَهْلِ الْخَلَّةِ مِمَّنْ يُسَاتِرُ النَّاسَ بِفَقْرِهِ وَلَا يَهْتِكُ سِتْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ حَالِهِ» (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۸). هذه العبارة تتوازى من جهة مع الآية الكريمة: «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» (البقرة: ۲۷۳)، ومن جهة أخرى مع الآية: «وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبَى» (البقرة: ۱۷۷)، التی تؤكد على وجوب إنفاق المال على الأقرباء والمحتاجين.

وفی قوله: «لِلْمَعْرُوفِ شَرَائِطُ [...] الثَّانِيَةُ كِتْمَانُهُ» (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۸)، يشدّد ابن سينا على إخفاء الصدقة، وهو تعليم قرآنی واضح فی الآية: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِیَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» (البقرة: ۲۷۱). كما ينعكس مبدأ الإخلاص فی الإنفاق فی عبارته: «وَأَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّهِ» (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۸)، والتی تتوافق مفهوماً مع الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِی يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (البقرة: ۲۶۴).

ونقطة أخرى مهمة فی هذا السياق هی إشارة ابن سينا إلى أن الصدقة تكون ذخراً ليوم الحاجة الأكبر، بقوله: «وَالثِّقَةَ بِأَنَّهَا الْعُدَّةُ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ» (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۴۸). وهذا المفهوم يتناغم مع العديد من الآيات القرآنية التی تذكر أجر الصدقات فی يوم القيامة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: «لَا خَيْرَ فِی كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء: ۱۱۴).

۳- ۲- ۴- استعداد الخلقيات

تُعْتَبَرُ العِبَارَةُ «فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ تَابِعَةٌ لِلْخَلْقِ» (ابن سينا، ۱۹۸۸: ۲۵۸) من العبارات الجديرة بالتأمل فی نص الرسالة. فهی تشير إلى أن الخلقة (أی التكوين الفطری) الخاصة بكل إنسان تؤثر تأثيراً كبيراً فی أخلاقه. ويُعزّی ابن سينا هذا التأثير بشكل كبير إلى المزاج الخاص بكل فرد، وقد توسع فی شرح هذه الفكرة فی عدد من مؤلفاته الأخرى (انظر على سبيل المثال: ابن سينا، ۱۴۰۵: ۱/ ۲۰۰؛ ابن سينا، ۱۹۸۴: ۲۲۶-۲۴۵؛ رحيم‌پور، ۱۴۰۲ش). هذا القول يتوافق إلى حد كبير مع مفهوم «الشَّاكِلَة» فی القرآن الكريم الذی ورد فی الآية: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ» (الإسراء: ۸۴). وقد فُسِّرت «الشَّاكِلَة» فی بعض التفاسير بأنها الطبيعة أو المزاج الأصلی للإنسان (الطوسی، بلا تا: ۵۱۳/۶). وبذلك، تمثل هذه

العلاقة أحد أوجه التناص المفهومى بين النصين، حيث يربط كل منهما السلوك والأخلاق بالهيئة التكوينية الأصلية للإنسان.

٣- ٣- التناص الهيكلى بين القرآن و *السياسة المنزلية*

لا يقتصر فحص رسالة *السياسة المنزلية* لابن سينا على الكشف عن أوجه التشابه اللفظى والمفهومى فحسب، بل يكشف عن حقيقة أعمق: وهى مدى تغلغل النظرة القرآنية للعالم فى البنية الفكرية العامة والأسس النظرية لهذا الفيلسوف المسلم. يمكن رصد هذا التأثير الهيكلى بوضوح فى ثلاثة محاور رئيسة هى: «أولوية المصلحة الجماعية»، و«الدمج بين العقل والوحى»، و«الغائية فى الخلق»، والتى تشكل بمثابة دعامات ثلاث راسخة للبناء الفكرى للرسالة.

٣- ٣- ١- هيكل أولوية المصلحة الجماعية على الفرد

طوال نصوص الرسالة، عندما يتحدث ابن سينا عن الحقوق المتبادلة بين الزوجين، وتربية الأولاد، وحتى معاملة الخدم، فإن محور اهتمامه هو صلاح البيت (أى استقامة الأسرة وانتظامها كمؤسسة اجتماعية). فهو يقدم المصلحة الكلية للأسرة على الميول والرغبات الفردية لأعضائها. على سبيل المثال، عندما يناقش قيادة الرجل للأسرة، لا يصورها كامتياز شخصى، بل كمسؤولية لحفظ نظام وتماسك الوحدة الأسرية. وهذا المنطق نفسه يسرى على تربية الأولاد؛ فتنشئة الولد الصالح الذى يمكن أن يكون عضواً نافعاً لأسرته، وبالتالى لمجتمعه الإسلامى، تأتى أولوية قبل إرضاء الرغبات اللحظية للوالدين أو الولد نفسه.

هذا التوجه هو انعكاس للنموذج الكلى القرآنى الذى تجسد فى الآية: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ» (آل عمران: ١١٠). ففى هذه الآية، تُعرَّف الأمة الإسلامية كـ«كل» ملتزم، وُضعت على عاتقه مسؤولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أى الحفاظ على صلاح المجتمع. كما ورد فى الآية «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ» (الأعراف: ١٧٠) إشارة واضحة إلى ضرورة الإصلاح. إن ابن سينا يحوِّل هذا النموذج القرآنى من مستوى المجتمع الكلى إلى مستوى الأسرة الجزئى، معرِّفاً الأسرة بأنها المؤسسة الاجتماعية الأولى والأساسية التى يُعد تحقيق الصلاح فيها حجر الأساس لصلاح المجتمع الأكبر. ويسبق ذلك ضرورة أن يُصلح الفرد نفسه، وهى ركيزة الإصلاح المجتمعى عنده (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٤٠). وبالتالى، فإن دفاعه عن المصلحة الجماعية للأسرة، نابع من نفس روح الجماعية التى جعلها القرآن الكريم أساساً لهوية الأمة الإسلامية.

٣- ٣- ٢- هيكل الدمج بين العقل والوحى

إحدى أبرز ملامح *السياسة المنزلية* هى التعايش السلمى بين الحجج العقلية والقيم الوحيانية. فطوال هذا العمل، يُمزج ابن سينا حججه الفلسفية (ذات الجذور اليونانية) بمفاهيم وغايات مستقاة من القرآن (كالتقوى ورضا الله والسعادة الأخروية). فعلى سبيل المثال، عندما يعدد فوائد الزواج، يشير إلى أسباب عقلية كالتناسل وتأمين السكن النفسى، ويجعل الله تعالى هو السبب الفاعل لها (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٥٠-٢٥١). وفى التربية الأخلاقية للطفل، يستخدم طرقاً تستند إلى الفهم النفسى (العقل)، بينما يلمح إلى أن الهدف النهائى هو تنشئة إنسان ملتزم بأوامر الدين (الوحى) (ابن سينا، ١٩٨٨: ٢٥٢-٢٥٦).

هذا المنهج يعكس نفس النظرة القرآنية للعالم التى تعطى قيمة لكل من العقل والوحى فى آن معاً. فالقرآن الكريم فى آيات عديدة مثل «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (البقرة: ٤٤) و «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (البقرة: ٢٤٢) يدعو الإنسان إلى التعقل، ومن جهة أخرى يدعوه إلى التسليم للوحى. فى المنظومة الفكرية لابن سينا، ليس هذان المصدران فى تضاد، بل هما متكاملان ضمن نسق معرفى متماسك؛ فالعقل يكتشف القوانين الكلية والفلسفية للسعادة البشرية، والوحى يحدد المسار العملى والغاية النهائية لهذه السعادة. هذا الدمج الهيكلى يظهر أن الحكمة اليونانية عند ابن سينا تكون ذات قيمة عندما تكون فى خدمة الأهداف الوحيانية للإسلام.

٣- ٣- ٣- هيكل الغائية فى الخلق

جميع مناقشات ابن سينا فى هذه الرسالة حول «السعادة» كغاية نهائية للحياة الأسرية، ترتكز على مبدأ قرآنى أساسى هو: أن العالم والإنسان لم يُخلقا باطلاً وعبثاً. فالآية الكريمة «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» (المؤمنون: ١١٥) تؤكد بوضوح على أن الخلق ليس فارغاً أو بلا هدف. إن ابن سينا يتخذ هذا المبدأ القرآنى أساساً لفلسفته الأخلاقية. فالزواج وتكوين الأسرة فى نظره ليسا ظاهرة غريزية عابرة، بل هما وسيلة للوصول إلى الكمال والسعادة. ولهذا السبب لا يرى أى بعد من أبعاد حياة الإنسان بمعزل عن الحكمة والعقلانية. فـ«السعادة» فى نظر ابن سينا مفهوم له بُعد معنوى أخروى، ويتحقق أيضاً فى قالب الحياة الفاضلة فى هذه الدنيا.

هذه النظرة تجعل غاية الفلسفة منسجمة مع غاية القرآن. فكما أن القرآن يرى أن العالم كله له غاية حكيمة، فإن ابن سينا يعتبر الأسرة والحياة الاجتماعية للإنسان ذات غاية سامية. وبالتالى، فإن أصغر التوصيات العملية عنده (من كيفية إنفاق المال إلى آداب المعاشرة مع الزوجة وتربية الأطفال وتدبير شؤون الخدم) تجد معناها فى سياق تحقيق هذه السعادة

النسخة الأولى للنشر اغير المنقحة

الكلية. هذه الغائية الهيكلية تعطى الحياة الأسرية عمقاً ومعنى يتجاوز تلبية الاحتياجات المادية ليجعلها ساحة لتكميل النفس والقرب من الله.

فى الختام، يمكن القول إن القرآن الكريم حاضر ليس فقط فى الألفاظ والمفاهيم، بل فى أعمق الطبقات الهيكلية لفكر ابن سينا. وهذا يظهر عظمة عمل ابن سينا؛ الفيلسوف الذى استطاع أن يخلق نظاماً فلسفياً أخلاقياً، يكون عقلياً من جهة، ويرتوى من معين الوحى الزلال من جهة أخرى، ليصبح فى النهاية فى خدمة الغاية النهائية من الخلق، وهى القرب من الله تعالى.

٤- الخاتمة

استخدم هذا البحث الإطار النظرى للتناص لتحليل العلاقة النصية بين القرآن الكريم ورسالة *السياسة المنزلية* لابن سينا. وتُظهر النتائج بوضوح أن هذا العمل الأخلاقى-الفلسفى يتفاعل بشكل ديناميكى ومتعدد المستويات مع النص القرآنى. لم يقتصر هذا الحوار الخفى على المستوى السطحى اللفظى فحسب، بل امتد إلى مستويات أعمق، مستوى المضمون والهيكل. فعلى المستوى اللفظى، وعلى الرغم من أن ابن سينا لم يذكر أى آية كاملة، إلا أن استخدامه لعبارات ومصطلحات وتراكيب لغوية مميزة للقرآن، يُظهر أن ألفاظ القرآن قد تشبعت بها نسيج كلامه. وعلى المستوى المفهومى، فقد أعيد تفسير وإنتاج مفاهيم أساسية متجذرة فى القرآن، مثل الفاعلية المطلقة لله، والزوجية، والإنفاق، والعلاقة بين الخلق والأخلاق، فى بنية الفكر الأخلاقى لابن سينا. وعلى أعمق مستوى، وهو المستوى الهيكلى، فإن النظرة القرآنية للعالم قد ألقت بظلالها على البناء الفكرى العام للرسالة؛ حيث تشكل مبادئ مثل أولوية المصلحة الجماعية على الفرد، والدمج بين العقل والوحى كمصدرين مكملين للمعرفة، والغائية من الخلق التى تجعل القرب من الله غاية الحياة، الدعامات الرئيسة للرسالة. وعلى هذا الأساس، يمكن الادعاء أن القرآن الكريم لم يكن مجرد نص إضافى، بل كان التيار الحيوى الذى لعب دوراً أساسياً فى تشكيل وتوجيه وغرضنة النظام الفلسفى-الأخلاقى لابن سينا فى السياسة المنزلية. يقدم هذا البحث دليلاً على أن الفلسفة الإسلامية، فى أحد أبرز ممثليها، ليست فقط غير متعارضة مع الدين، بل كانت قادرة على استيعاب وتمثل التعاليم الوحيانية، مؤسسةً بذلك نظاماً عقلياً ومعنوياً فى آن واحد، حيث يتم توظيف العقلانية اليونانية فى خدمة الأهداف السامية للقرآن. وهذا بحد ذاته يشهد لمكانة القرآن الكريم وقدرته على التأثير فى العباقرة العلميين للبشرية بهذا العمق.

النسخة قبل النشر أعلى الصفحة

منابع

قرآن.

ابن رشد، محمد بن احمد (۱۹۹۳). *تهافت التهافت*. تصحیح: محمد یاسین عریبی. بیروت: دار الفکر اللبنانی.

ابن سلیمان، مقاتل (۱۴۲۳ق). *تفسیر مقاتل بن سلیمان*. بیروت: دار إحیاء التراث العربی.

ابن سینا، حسین بن عبد الله (۱۳۱۹ش). «ترجمه و تحشیه رساله تدبیر منزل». در *ابن سینا و تدبیر منزل*. مترجم: محمد نجمی زنجانی. تهران: چاپخانه ایران.

ابن سینا، حسین بن عبد الله (۱۳۵۳ش). «رسالة فی سرّ القدر». فی مجموع *رسائل شیخ الرئیس*. حیدرآباد دکن: دائرة المعارف العثمانیة.

ابن سینا، حسین بن عبد الله (۱۳۷۹ش). *النجاة من الغرق فی بحر الضلالات*. تصحیح: محمد تقی دانش‌پژوه. طهران: جامعة طهران.

ابن سینا، حسین بن عبد الله (۱۴۰۰ق). «الرسالة العرشیة فی توحیده تعالی و صفاته». فی *رسائل ابن سینا*. قم: بیدار.

ابن سینا، حسین بن عبد الله (۱۴۰۵ق). *الشفاء: المنطق*. قم: مکتبة آیت الله المرعشی النجفی.

ابن سینا، حسین بن عبد الله (۱۴۱۸ق). *الإلهیات من کتاب الشفاء*. تحقیق: حسن حسن‌زاده آملی. قم: دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم.

ابن سینا، حسین بن عبد الله (۱۹۸۴). *الأدویة القلبیة*. تحقیق: محمد زهیر البابا. حلب: معهد التراث العلمی.

ابن سینا، حسین بن عبد الله (۱۹۸۸). «السیاسة المنزلیة». فی *المذهب التربوی عند ابن سینا من خلال فلسفته العملیة*. دراسة و تحلیل: عبد الأمیر شمس الدین. بیروت: الشرکة العالمیة للکتاب.

اذکائی، پرویز (۱۳۶۴ش). «دادشهر ابن سینا»، *چیستا* ۲۳: ۱۷۳-۱۸۶.

الأهوانی، أحمد فؤاد (۱۳۳۵ش). «نظریة ابن سیناء السیاسیة». فی *کتاب المهرجان لابن سینا*. طهران.

حسن‌زاده آملی، حسن (۱۳۷۰ش). *قرآن و عرفان و برهان از هم جدائی ندارند*. تهران: مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی.

حسینی، سید احمد؛ مسلم‌پور، ابراهیم (۱۳۹۳ش). «روش فلسفی ابن سینا در تفسیر حروف مقطعه قرآن». *حکمت سینوی*، ۵۲: ۵-۲۴.

الرازی، محمد بن عمر (۱۳۸۴ش). *شرح الإشارات و التنبیهات*. تهران: انجمن آثار و مفاخر فرهنگی.

النسخة ما قبل النشر أعد المنقحة

رحیم‌پور، فروغ السادات (۱۴۰۲ش). «دیدگاه ابن سینا پیرامون نقش عوامل مادی در شکل‌گیری صفات اخلاقی». *اندیشه دینی۲۳*، ۸۶: ۲۳-۴۸.

سراج، شمس الله؛ رهبر، حسن (۱۳۹۲ش). «منزلت عرفان و قرآن در مقایسه با عقل در اندیشه ابن سینا». *آموزه‌های فلسفه اسلامی*، ۱۲: ۸۳-۱۰۰.

السید الداماد، محمد باقر (۱۳۷۴ش). *القبسات*. تصحیح: مهدی محقق. طهران: جامعة طهران.

الشهرزوری، شمس الدین (۲۰۰۷). *نزهة الأرواح و روضة الأفراح*. تحقیق: عبد الکریم ابو شویرب. باریس: دار بیبلیون.

طاهری، علی (۱۳۸۴ش). «ابن سینا و شعر تعلیمی». *پژوهشنامه ادب غنایی*، ۵: ۹۵-۱۰۸.

الطبرانی، سلیمان بن أحمد (۲۰۰۸). *التفسیر الکبیر: تفسیر القرآن العظیم*. اربد: دار الکتب الثقافی.

الطبرسی، فضل بن حسن (۱۳۷۲ش). *مجمع البیان فی تفسیر القرآن*. تصحیح: فضل الله یزدی طباطبائی. طهران: ناصر خسرو.

الطریحی، فخر الدین بن محمد (۱۳۷۵ش). *مجمع البحرین*. تحقیق: أحمد حسینی إشکوری. طهران: مرتضوی.

الطوسی، محمد بن حسن (بی‌تا). *التبیان فی تفسیر القرآن*. بیروت: دار إحیاء التراث العربی.

الطوسی، محمد بن محمد (۱۳۸۹ش). *حل مشکلات کتاب الإشارات و التنبیهات*. تهران: میراث مکتوب.

عزام، محمد (۲۰۰۱). *النص الغائب: تجلیات التناص فی الشعر العربی*. دمشق: منشورات اتحاد الکتاب العرب.

الغزالی، محمد بن محمد (۱۹۹۰). *تهافت الفلاسفة*. تصحیح: ماجد فخری. بیروت: دار المشرق.

الفاخوری، حنا؛ الجر، خلیل (۱۹۹۳). *تاریخ الفلسفة العربیة*. بیروت: دار الجلیل.

الفارابی، محمد بن محمد (۱۴۰۵ق). *فصوص الحکم*. تحقیق: محمد حسن آل یاسین. قم: بیدار.

قائمی‌نیا، علیرضا (۱۴۰۲ش). *بیولوژی نص*. تهران: پژوهشگاه فرهنگ و اندیشه اسلامی.

قزلباش، زهرا (۱۴۰۰ش). «بازخورد آیات قرآن در آراء ابن سینا و نقد غزالی بر آن». *مطالعات شهریار پژوهی۸*، ۲۹: ۱۰۲-۹۳.

القمی، علی بن إبراهیم (۱۳۶۳ش). *تفسیر القمی*. قم: دار الکتب.

الکندی، یعقوب بن اسحاق (۱۹۷۸). *رسائل الکندی الفلسفیة*. تصحیح: محمد عبد الهادی ابوریده. قاهرة: دار الفکر العربی.

مغنیة، محمد جواد (۱۴۲۳ق). *التفسیر الکاشف*. قم: دار الکتب الإسلامی.

نامور مطلق، بهمن (۱۳۹۰ش). *درآمدی بر بینامتنیت: نظریه‌ها و کاربردها*. تهران: سخن.

النسخة ما قبل التنسيق الصفحة

نورانی‌نژاد، حمیده (۱۳۸۳ش). «فنّ تدبیر منزل به روایت ابن سینا». در *مجموعه مقالات همایش بین المللی ابن سینا*. همدان: همایش بین المللی ابن سینا.

Allen, G. (2000). *Intertextuality*. London: Routledge. https://doi.org/10.4324/9780203131039

Genette, G. (1997). *Palimpsests: Literature in the Second Degree*. Nebraska: University of Nebraska.

Kristeva, J. (1980). *Desire in Language: A Semiotic Approach to Literature and Art*. New York: Columbia University Press.

Lim, B. & Khan, A. (2016). *Avicenna: Leading Physician and Philosopher-Scientist of the Islamic Golden Age*. United Kingdom: Rosen Publishing.

Mayer, R. (1990). Abstraction, Context, and Perspectivization – Evidentials in Discourse Semantics. *Theoretical Linguistics, 16*(2-3), 101-164.

Nasr, S. H. & Leaman, O. (1996). *History of Islamic Philosophy*. London: Routledge.

Nasr, S. H. (1993). *An Introduction to Islamic Cosmological Doctrines*. New York: State University of New York.

النسخة ما قبل النشر (غير المنقحة)